

حكم تفسير القرآن العظيم

ب «الإعجاز العلمي»

(الإعجاز العددي)

الشيخ

محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

(ت: ١٤٢١)

تفسير القرآن العظيم سورة الزخرف ١٧-٢٢

ط. مؤسسة الشيخ ابن عثيمين

مركز دار ابن عثيمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث
رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإعجاز العلمي نوعان: نوعٌ دلَّ عليه القرآنُ وأشارَ إليه،
هذا لا بأس به، وهو من تفسير القرآن، ونوعٌ لا يدلُّ
عليه القرآنُ، وإنما يُؤخذُ منه بتكلف، وربَّما لا يدلُّ عليه
أصلاً، فهذا لا يجوزُ تفسيرُ القرآنِ به، مثالُ الثاني قال اللهُ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ
تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا
بِسُلْطَانٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن] فسره بعضهم بالعلم، وطبق هذا على
الوصولِ إلى القمرِ فهذا لا يحلُّ؛ لأنَّ الآيةَ لا تدلُّ على
ذلك، الآيةُ فيها بيانُ الحالِ يومَ القيامةِ؛ ولهذا قال: ﴿مِنْ
أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومعلومٌ أن هؤُلاءِ لم ينفذوا من

أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ، فَالْإِعْجَازُ الْعِلْمِيُّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ تَكْلُفٌ لَا بَأْسَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ وَاسِعٌ.

وَمَا يُنْكَرُ أَيْضًا مِمَّا يُقَالُ: الْإِعْجَازُ الْعِلْمِيُّ؛ مَا يُسْمَوْنَهُ بِالْإِعْجَازِ الْعَدَدِيِّ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْعَدَدِ: تِسْعَةَ عَشَرَ، هَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مُعْجِزٌ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ.

أَوَّلًا: لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ مُخْتَلِفَةً، وَهُمْ يَقُولُونَ مَثَلًا: التَّاءُ تَكَرَّرَتْ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً إِذَا قَسَمْتَهَا عَلَى تِسْعَةَ عَشَرَ انْقَسَمَتْ، اللَّامُ تَكَرَّرَتْ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً إِذَا قَسَمْتَهَا عَلَى تِسْعَةَ عَشَرَ انْقَسَمَتْ بِلا كَسْرِ، هَكَذَا يَزْعُمُونَ وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ بَاطِلٌ.

حَتَّى قَالَ لِي بَعْضُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران]، وَقَالَ فِي سُورَةِ الْفَتْحِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [الفتح: ٢٤] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ (بَكَّةَ) مِنْ

أَجَلَ أَنْ تُتِمَّ الْبَاءَ الْعَدَدَ الَّذِي يُنْقَسِمُ عَلَى تِسْعَةِ عَشَرَ،
وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ كَذِبٌ.

وَالدَّلِيلُ: مَثَلًا فِي الْقُرْآنِ كَلِمَاتٌ فِيهَا قِرَاءَاتٌ: ﴿يَتَأَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ [النساء:
٩٤] فِيهَا قِرَاءَةٌ «فَتَبَيَّنُوا» إِذَنْ: اخْتَلَّ الْعَدَدُ، صَارَ بَدَلُ
النُّونِ (ثَاءً)، وَبَدَلَ الْيَاءِ بَاءً.

كَذَلِكَ ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة] وَفِي قِرَاءَةِ: «مَلِكٌ
يَوْمَ الدِّينِ» بَحَذْفِ الْأَلِفِ، فَنَقَصَتِ الْأَلِفُ، فَالْقَصْدُ أَنْ
هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ كَذِبٌ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ
بِالْإِعْجَازِ الْعَدَدِيِّ؛ لِأَنَّهُ أَوْلَا: لَيْسَ فِيهِ إِعْجَازٌ كَمَا قَالُوا.

وِثَانِيًا: الْقُرْآنُ مَا نَزَلَ عَلَى أَنَّهُ تَمْرِينٌ حِسَابِيٌّ، بَلْ نَزَلَ عَلَى
أَنَّهُ مَوْعِظَةٌ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ.

وَيُقَالُ: إِنَّ الَّذِي أَطْلَقَ هَذِهِ الْبِدْعَةَ رَجُلٌ كَانَ يُنْكِرُ الْقِسْمَ
الثَّانِي مِنَ الشَّهَادَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ الشَّهَادَةَ فَقَطُّ تَقْتَصِرُ عَلَى:
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

وَهُوَ رَجُلٌ يُسَمَّى رَشَادًا، وَنَشَرَهَا فِيهَا سَبَقَ قَبْلَ سِنَوَاتٍ،
وَلَكِنَّهُ قُتِلَ، قَتَلَهُ بَعْضُ النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ ابْتَدَعَ فِي دِينِ اللَّهِ مَا
لَيْسَ مِنْهُ.

وَلَكِنْ هَذِهِ الْأَيَّامُ الْأَخِيرَةَ وَجَدْتُ إِنْسَانًا مَعَهُ وَرَقَةٌ مِنْ
هَذَا النَّوعِ يُرِيدُ أَنْ يَطْبَعَهَا عَلَى حِسَابِهِ الْخَاصِّ وَيُوزَعَهَا
بَيْنَ النَّاسِ، فَقُلْتُ لَهُ: هَذَا لَا يُجُوزُ، وَمَزَّقْتُ الْوَرَقَةَ الَّتِي
أَعْطَانِي، وَقُلْتُ: يَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا نَزَلَ
لِإِصْلَاحِ الْخَلْقِ، لَا لِامْتِحَانِ عُقُولِهِمْ بِالْعَدَدِ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ، ثُمَّ كَمَا تَقَدَّمَ: تُوجَدُ آيَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ تَمْنَعُ هَذَا التَّرْكِيبَ
الَّذِي ذَكَرَ.

قَالَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُتِبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا**
ءَايَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] أَي: يَتَفَكَّرُوا فِيهَا، وَيُرَدِّدُوهَا بِأَفْكَارِهِمْ؛
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْمَعْنَى، فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَمْ يَنْزَلْ لِتِلَاوَتِهِ
لَفْظًا فَقَطْ، بَلْ وَلِتَدْبِيرِ مَعْنَاهُ، وَلَا يُمَكِّنُ الْعَمَلُ بِهِ إِلَّا
بِمَعْرِفَةِ مَعْنَاهُ، وَلَا يُمَكِّنُ مَعْرِفَةُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِتَدْبِيرِهِ.

إِذْنٌ: فَالتَّفَكِيرُ فِي مَعْنَاهُ أَمْرٌ وَاجِبٌ، فَيَجِبُ أَنْ تَتَعَلَّمَ
مَعْنَى الْقُرْآنِ كَمَا تَتَعَلَّمُ مَعْنَى الْأَجْرُومِيَّةِ، وَهِيَ كِتَابٌ
صَغِيرٌ فِي النَّحْوِ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْهُ الْإِنْسَانُ حَتَّى
يَعْرِفَ مَعْنَاهُ، كَذَلِكَ أَيْضًا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَسْتَفِيدَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ حَتَّى يَعْرِفَ مَعْنَاهُ، وَلَوْ أَنَّ هُنَاكَ كِتَابًا
فِي الطَّبِّ مِنْ أَفْصَحِ الْكُتُبِ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْمَعْنَى فَلَا
يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَفِيدَ مِنْهُ.

إِذْنٌ: لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَسْتَفِيدَ مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى تَعْرِفَ مَعْنَاهُ.
وَلَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» (١)
وَهَذَا يَشْمَلُ التَّعَلَّمَ اللَّفْظِيَّ وَالتَّعَلَّمَ الْمَعْنَوِيَّ؛ وَهَذَا قَالَ:
﴿لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩].

وَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ هَذَا فَاقْرَأْ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ مَعَ التَّدْبِيرِ،
وَاقْرَأْهَا مَعَ الْغَفْلَةِ، تَجِدُ الْفَرْقَ الْعَظِيمَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ فُضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ خَيْرِكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ،
رَقْمُ (٥٠٢٧)، مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لذَلِكَ أَحْتُكُم - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - عَلَى تَعَلُّمِ مَعْنَى الْقُرْآنِ
الكَرِيمِ، فَاقْرَؤُوا كُتُبَ التَّفْسِيرِ الْمُوثُوقَةِ، واحذَرُوا الكُتُبَ
الَّتِي لَا يُعْرَفُ مَنْ أَلْفَهَا أَوْ الَّتِي عُرِفَ مَنْ أَلْفَهَا بِأَنَّهُ
مُنْحَرِفٌ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مِنَ الْمُفْسِّرِينَ مَنْ حَرَّفَ
الْقُرْآنَ وَنَقَلَهُ إِلَى مَا يَعْتَقِدُهُ هُوَ، لَا إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ،
فاحذَرُواهَا، وَإِذَا لَمْ تَتَمَكَّنُوا مِنْ هَذَا فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ
حَتَّى تَسْتَفِيدُوا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ثالثاً: قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾

[ص] ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ أَي: يَتَعَطَّ أَصْحَابُ الْعُقُولِ. وَاَنْظُرُ
الْفَرْقَ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿لِيَتَذَكَّرُوا ءَايَاتِهِ﴾ حَيْثُ عَمَّ فِيهَا،
وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ حَيْثُ خَصَّ؛ لِأَنَّهُ لَا
يَتَذَكَّرُ بِالْقُرْآنِ وَلَا يَتَعَطُّ بِهِ إِلَّا أَصْحَابُ الْعُقُولِ، كَمَا قَالَ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ
قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٢٧﴾ [ق].

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِلَى مَنْ نَرْجِعُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ؟

فالجواب: نرجع إلى القرآن، نفسر القرآن بالقرآن، فإن لم نجدُ فبالسنة، فإن لم نجدُ فبقوال الصحابة، ولا سيما المفسرون منهم، فإن لم نجدُ رجعنا إلى أقوال التابعين - المفسرين منهم - كمجاهد بن جبر وغيره رحمهم الله.

مثال تفسير القرآن بالقرآن: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا

يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ [الانفطار]، ﴿الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ [القارعة]، والأمثلة كثيرة.

مثاله من السنة: قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿١﴾ [يونس] ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ يعني: الجنة. ﴿وَزِيَادَةٌ ﴿٢﴾ هِيَ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فَسَّرَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ (٢)، وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَىٰ.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم (١٨١).

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
 وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأَنْفَال: ٦٠] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا إِنَّ
 الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا^(٣). فَفَسَّرَ
 الْقُوَّةَ بِالرَّمِي، لِأَنَّ الرَّمِيَّ أَشَدُّ مَا يَكُونُ فَتَكَا بِالنِّسْبَةِ
 لِلْأَسْلِحَةِ، وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا الرَّمِيُّ هُوَ الْقُوَّةُ، وَقَدْ كَانَ
 النَّاسُ فِي الْأَوَّلِ يَرْمُونَ بِالسَّهَامِ بِالْقَوْسِ، وَالْآنَ يَرْمُونَ
 بِالصَّوَارِيخِ وَالْقَنَابِلِ.

فَلَا تَظُنَّ أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ» خَاصٌّ بِمَا كَانَ
 فِي عَهْدِهِ، بَلْ هِيَ عَامَّةٌ بِمَا يُحَدَّثُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.
 عَلَى كُلِّ حَالٍ: نَرْجِعُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ إِلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ
 بِالْقُرْآنِ، ثُمَّ بِالسُّنَّةِ، ثُمَّ بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَلَا
 نَعْدِلُ عَنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ إِلَى تَفْسِيرِ الْمُتَأَخِّرِينَ أَبَدًا،
 خُصُوصًا فِي الْعِبَادَاتِ، أَمَا فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَحْدُثُ وَيَكُونُ

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الرمي، رقم (١٩١٧)، من حديث
 عقبة بن عامر رضي الله عنه.

فِي الْقُرْآنِ إِشَارَةٌ لَهَا فَهَذِهِ قَدْ لَا يَرُدُّ عَنِ السَّلْفِ فِيهَا
تَفْسِيرٌ، وَلَكِنْ تُفَسَّرُ حَسَبَ الْوَقْتِ، لِأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ مِنْ
الْأُمُورِ الْكُونِيَّةِ الْفَضَائِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهَا السَّلْفُ
رَحْمَهُمُ اللَّهُ، وَلَكِنْ تَكَلَّمْ فِيهَا الْمُتَأَخَّرُونَ، فَقُولُ: يُرْجَعُ
إِلَى قَوْلِ الْمُتَأَخَّرِينَ فِي هَذَا، لِأَنَّ السَّلْفَ لَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَ
ذَلِكَ.

أَمَّا مَسَائِلُ الْعِبَادَةِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَمَا أَشْبَهَهَا، فَإِنَّهُ يُرْجَعُ فِي
ذَلِكَ إِلَى تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ، ثُمَّ بَعْدَ
ذَلِكَ الْمَرْتَبَةُ الرَّابِعَةُ: كِبَارُ الْمُفَسِّرِينَ مِنَ التَّابِعِينَ رَحْمَهُمُ
اللَّهُ، وَمَرْتَبَتُهُمْ أَدْنَى بِكَثِيرٍ مِنْ مَرْتَبَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ حَقًّا
تِلَاوَتِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا تَعَلُّمَهُ لَفْظًا وَمَعْنَى، وَالْعَمَلَ بِهِ، إِنَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.